**المحاضرة رقم 07**

**حواضر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا**

**مقدمة:**

لم تظهر الحواضر في التاريخ المعروف فجأة ، ولكن سبق ظهورها فترات ممتدة من الزمن كان الإنسان يجمع فيها الثروة ، ويقنن المعارف ،ويرقي القدرة التنظيمية له ،ولذويه ممن اتفقت أهوائهم وتوحدت مصالحهم في التجمع والارتقاء .

فالمدينة كمفهوم اجتماعي أنساني تعد مرحلة كبرى على سلم مراحل التطور البشري لم يكن يصلها الإنسان دون أن يكون قد تخطى المراحل السابقة ،وهي المراحل التي اعتمدت في الأساس على مرحلتي الرعي والزراعة ،وعندما تمكن الإنسان من جميع ذلك تراه قد استقر في مدن ، فقد ضمن شرابه وغذاءه وكساءه ، وتسنى له ان ينظر بعقله الى أمور الحياة الدنيا، فظهر الفكر والتاريخ والابتكارات و من ثم توسعت المدن وأصبحت نواة قوية ومتكاملة انبثقت منها صور الحضارة المعنوية والمادية التي نعرفها الآن عن الإنسان في العصور التارخية المختلفة [[1]](#footnote-2) .

**1- تنبكت :**

تأسست هذه الحاضرة على أيدي قبيلة مغشرن أو مقشرن (إحدى قبائل الطوارق ، في بين أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ،وأوائل القرن الثاني عشر، كان الطوارق ينزلون بهذه المدينة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة ، في وقت الصيف ،ثم يرتحلون وقت الخريف.

تقع المدينة على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ، على الضفة اليسرى من خليج نهر النيجر ، حيث يبعد عنها في الصيف ب16 ميلا أما في الخريف فان ماء النهر يقترب منها فيصل الى بعد سبعة أميال من المدينة ، وهي تنحصر بين دائرتي عرض 17°-40° وخطي طول 3° -50°.

أما تسمية المدينة فيقال انه كانت هناك سيدة من الطوارق ، او أمة لهم ، كانت تعيش في الموقع الحالي لتنبكت، وكان اسمها ( بكت ) ،وكان رجال قبيلة مقشرن الطارقية ينزلون في ذلك المكان في فصل الصيف راتعين حيواناتهم على ضفاف نهر النيجر ويرتحلون في الخريف شمالا وأحيانا يتركون أمتعتهم الزائدة لديها

ولذا سميت المدينة تنبكت أي مكان أو مأوى بكت - المرأة – حيث لفظ (تن) تعني في لغة الطوارق المكان أو المأوى أو المسكن .

إن اسم تنبكت ينير في الأذهان الماضي المشرق لإفريقيا ، فهو رمز لقاء افريقيا السوداء مع افريقيا البيضاء ، والاتحاد المثمر الذي مكن من تطوير حضارة عالمية أخذت عناصرها من ضفاف البحر المتوسط ، فظلت تنبكت نقطة اتصال وتعارف بين الناس ومهدا للثقافة الزنجية البربرية في السودان الغربي اكتسبت حاضرة تنبكت مكانة متميزة بفضل موقعها الجغرافي ، فهي ذات موقع وسيط للمسافرين في طريق

القوافل [[2]](#footnote-3)1ونقطة تقارب بين الشمال والجنوب .

انطلاقا من موقعها الجغرافي الهام ، بدأت المدينة تكبر وتتحول اليها الطرق التجارية ، واستمر شأن تنبكت في التعاظم ، طيلة القرن الثامن الهجري /الرابع عشر ميلادي ، حيث شهدت المدينة رخاءا ورفاهية في أواخر القرن التاسع الهجري /الخامس عشر ميلادي وقد شهد المؤرخ الفرنسي "ديبوا" بان القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي كان أزهى العصور التي مرت بتنبكت التي وصلت في ذلك الحين الى أوج المجد الأدبي والعلمي حيث كانت سوقا لكتب تنسخ فيها المخطوطات وتوزع في البلاد ، اكتسبت تنبكت مكانة مميزة خلال حكم مالي ،وخاصة في عهد ملكها منسى موسى حيث عم الأمن والرخاء البلاد كلها .

لقد ورثت تقاليد التبادل الثقافي الذي رفعها إلى المقام الأعلى في القرن السادس عشر، وبعد انضمامها الى إمبراطورية غاو (سنغاي)منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، واغتنم هذه الوضعية الممتازة لكي تزداد تطورا وجمالا بإقامة أحياء مشرقة ، كحي "سانكوري " وحي "ساركاينسي " وأصبحت العاصمة الثقافية والدينية للسودان الغربي وابتداءا من ذلك الوقت ظلت تؤدي وظيفة مزدوجة تجارية وثقافية حيث بلغ عدد سكانها في ذلك العهد حوالي ، ستين ألف أو سبعين ألف ، وكان يرتفع في فصل الأعمال ، فيبلغ على الأرجح مائة ألف نسمة[[3]](#footnote-4)6 انتشرت سعة تنبكت ووصلت أوج عظمتها في عهد أسكيا محمد من حيث المعاملات التجارية وكثرة الحوانيت المملوءة

بالكتب فكانت مركزا ثقافي كبيرا ، فقد كان بها مسجدان كبيران يعتبران جامعتين إسلاميتين تضمان المتشوقين للعلم وكانت الدروس فيها تستمر طيلة النهار ، ولا تنقطع الا وقت الصلاة وكان بعض الاساتذة يدرسون في الليل على نور الحطب المشتعل الذي يتبرع به الطلاب وكان بهذه المدينة نحو مائتين وثمانين مدرسة.

ظلت نبكت أهم طريق لنقل الثقافة إلى باقي حواضر غرب السودان فكانت ذات إشعاع حضاري وتجاري واسع إلى غاية نهاية القرن السادس عشر حيث بدأت تضعف بعد أن غزى المغاربة البلاد وهو عمل منعزل ليس له هدف ديني ،لا يعني أن السلام توغل عن طريق السيف الذي كان يحمله العربي ، بل قد انتشر بواسطة القوافل الاسلامية في جميع العصور في غرب إفريقيا .

ويكفي أن نختم مع المثل القديم في غرب أفريقيا والذي يقول : "ملح يأتي من الشمال ، ذهب من الجنوب ، ولكن كلمة الله وكنوز الحكمة لا يمكن العثور عليها إلا في تنبكت".

1. . . عبد الحكيم : موسوعة 100مدينة إسلامية،ص07 [↑](#footnote-ref-2)
2. 1 . شوقي عبد القوي عثمان: التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك، ط1، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، مصر 2000، ص 52. [↑](#footnote-ref-3)
3. 6 . سكيني مودي سيسوكو : نزعة تومبوكتو في وحدة العالم الأفريقي مجلة الثقافة الإفريقية ، الجزائر 1969 ، ص 265 [↑](#footnote-ref-4)